ومثلما كان اللاجئون بيئة ملائمة كان للمثقفين من البرجوازية الصغيرة شرف تعليق الجرس، إضافة للعمال والتجار ورجال الدين، فانطلقت جهود العمل الحزبي المنظم في السنوات الأولى بعد النكبة، وثمة إحصائية يقتبسها الدكتور الصايغ تفيد (إن الحزب الشيوعي في الأردن قد ضم ٢٣٠٠ عضو، والإخوان المسلمين بين ٧٠٠ – ١٠٠٠، والقوميين العرب بضع مئات وعدد متواضع للبعث وحزب التحرير. وفي غزة ٢٢٠ عضواً في الحزب الشيوعي، وللإخوان ألف وللقوميين العرب بضع مئات وللبعث بضع عشرات)[١١٧]. وهذه الأرقام كما يبدو تختزل حجم القوميين العرب.

وتجدر الإشارة هنا إلى الأهمية البالغة لعدد من كادرات الجامعة الأمريكية في بيروت ورابطة طلبة فلسطين في القاهرة وكوادر نقابية عمالية في عمان ونابلس ورام الله ولد في صفوفهم قادة بارزون.

وقد حظيت الأحزاب العلمانية بجاذبية لدى أصحاب المهن الحرة والمعلمين والفئات المستنيرة الأكثر تأكيداً على الهوية القومية، أما الأحزاب الدينية فكان لديها جاذبية في أوساط التجار والمؤسسات الدينية، ولكن الجميع تأثر بالفضاء السياسي لأنظمة الحكم، وتعرض للقمع السلطوي. وهذا لاحظناه في الاعتقالات الواسعة التي شهدتها الساحة الأردنية، اللبنانية، المصرية، ليس ضد الفلسطينيين فقط بل ضد أحزاب المعارضة عموما، بيد أن القهر والاكتظاظ وذل التشرد وتنامى أعداد البرجوازية الصغيرة والطلبة بفعل توجه الناس نحو التعليم سواء في مدارس وكالة الغوث أو المدارس الحكومية والجامعات، كما العمل في أجهزة الدولة، سيما في الأردن والبلدان النفطية، قد وفرّ قاعدة اجتماعية متنوعة وغير متجانسة للتطلعات السياسية والحزبية، وفيما بعد أفرز جيلا من نشطاء الكفاح المسلح والقيادات الوطنية. أما البرجوازية الفلسطينية والعوائل التقليدية، وثمة تداخل بين شريحتيهما، فتهافتت على الحصول على جنسيات الدول العربية والاندماج في النظام الأردني.

وسيكون لحياة اللجوء من جهة والانتشار الفلسطيني في جغرافية سياسية غير منسجمة والافتقار لكيان دولاتي من جهة أخرى، أثره الدامغ على طول المسيرة الفلسطينية.

مع صعود نجم عبد الناصر الذي لم يخفِ توجهاته النهضوية والقومية تعاقدت فرنسا مع إسرائيل سراً عام ١٩٥٤ لتزويدها بطائرات حربية ودبابات ومدفعية ثقيلة، تزامن ذلك مع غارات إسرائيلية على القوات المصرية في قطاع غزة، فاندفع عبد الناصر عام ١٩٥٥ للحصول على

---

١١٧) د. صايغ، يزيد. الكفاح المسلح والبحث عن هوية. مؤسسة الدراسات الفلسطينية ص١٠٤